Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النّظرة ، هي التي « خلقت « العربيّ ـ فطرةً في الجاهليّة ، ووحياً في النبوّة ، وعقلاً في الإسلام. بل تبدو اللغة ، في الوعي العربيّ الأصليّ ، كأنها الكائن نفسه ، ويبدو علمها كأنه علم الكائن . من « مادية » هذه اللغة المخلوقة ، يتفجّر إيقاع الوجود ، وينبثق جوهره . وفي هذا الإطار ، نفهم دلالة الإعراب : فهو المبدأ اللغويّ الأنقى ، وهو علامة الوحدة بين السّاكن والمتحرّك ، وبين النّطق والنّفس . فلئن كانت اللّغة الشّكل الإيقاعيّ للطّبيعة ، فإنّ هذا الشّكل يأخذ تمامه ووحدته ، بالإعراب .

اللّغة ، في هذه النظرة وهذا الوعي ، ليست مجرّد أداة لإيصال معنىً « منفصل » عنها. إنّها ، بالأحرى ، المعنى لأنّها هي الفكر . بل إنها سابقة عليه ، لأنّ المعرفة لاحقة ، ومن هنا كان معيار المعنى في اللّغة ، وكان محدّداً بقواعدها .

والمشكلة هنا هي أنّ هذه اللّغة التي يُنظر إليها بوصفها جوهرَ الكائن العربيّ ، تبدو في الممارسة العمليّة ركاماً من الألفاظ : هذا لا يتقنها ، وذاك يهجرها إلى لغةٍ أخرى عامّية أو أجنبيّة ، وذلك لا يعرف أن يستخدمها إبداعياً ، فكأنّها « مستودعٌ » ضخم ، ينفُر منه بشكلٍ أو آخر ، بحجّة أو أخرى ، كلّ من يدخل إليه ويغترف حاجته منه . فهناك مسافةٌ بينها وبين من ينطق بها . وهذا يعني أنّ ما كان غايةً ، يبدو الآن مجرّد وسيلة . وكيف يمكن التّوفيقُ بين ماضٍ يجعلُ من اللّغة جوهر الإنسان ، وحاضرٍ لا يرى فيها إلاّ أداةً، ولا يتردّد في الدّعوة إلى تغيير بنائِها ، وإحلال العامّيات محلّها ؟ وإذا